جمهورية السودان
جامعة إفريقيا العالمية
كلية التربية بالتضامن مع اتحاد الجامعات الإسلامية في إفريقيا

ندوة التعليم الإسلامي في إفريقيا (2)

(الماضي، الحاضر، المستقبل)

ندوة التعليم الإسلامي في إفريقيا (2)
جامعة إفريقيا العالمية - كلية التربية
3 - 5 جماده الأولى 1440هـ - 9-11 يناير 2019م

تحت شعار:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴿١٤٣﴾ ﴾

المجلد الأول

3 - 5 / جمادي الأولى /1440هـ 9 - 11 يناير 2019م

ملاوي... قلب إفريقيا الدافئ

Malawi.... The Warm Heart of Africa

دخول الإسلام إلى ملاوي

إعداد:

أ. مهدي آدم الكيس

المستخلص

◄ هدفت الدراسة للتعرف على الكيفية التي وصل بها الإسلام إلى ملاوي، وبيان مجاهدات المسلمين في الحفاظ على دينهم، ووضع الإسلام الآن في ملاوي، وطرحت الدراسة عدة أسئلة للإجابة عليها، أهمها ما المشكلات التي داهمت مسلمي ملاوي للحفاظ على دينهم، وكيف دخل الإسلام إلى ملاوي؟ وكيف حافظ المسلمين على دينهم إبان فترة الاستعمار والتبشير المسيحي؟

استخدمت الدراسة المنهج الوصفي والمقابلة كأداة لجمع المعلومات، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

إن ظهور المنظمات الإسلامية في ملاوي قفز بالعمل الإسلامي وأدى إلى تطوره فأصبح ظاهرا للعيان. وإن قرارات الحكومة فيما يخص التعليم لجميع السكان بغض النظر عن ديانتهم أعطت المسلمين فرصا كبيرة في تطوير العمل الإسلامي. وإن توفر فرص التعليم التي وجدها أبناء المسلمين من ملاوي في عدة جامعات بالدول الإسلامية رفعت من المستوى الاجتماعي لهؤلاء الطلاب بالإضافة إلى خريجي جامعة ملاوي.

توطئة:

هذه الدراسة عبارة عن إلقاء الضوء على مراحل دخول الإسلام إلى ملاوي واستمراره إلى تاريخ إعداد هذه الورقة.

وقد تمت بالاستعانة ببعض المراجع لقلة الكتابات التي تناولت هذا الموضوع ومعظم المعلومات جمعها الباحث باستكتاب بعض الإخوة السودانيين المقيمين لسنوات طويلة في ملاوي، وهم استقوها من بعض الملاويين الذين كتبوا عنها بلغة بلدهم أو باللغة الانجليزية، كما أنهم تحصلوا على بعض المعلومات من الشبكة العنكبوتية.

وقد سارت الدراسة على المنهج الوصفي لأنه الأقرب لمثل هذه الدراسة.

كما أن الدراسة اعتمدت على المقابلات مع الإخوة السودانيين المقيمين بملاوي.

وقد قدمت هذه الدراسة عن الإسلام في هذا البلد، والذي يعتبر أنموذجا واضحاً لتطور الإسلام وانتشاره في قارة إفريقيا.

يأمل الباحث أن يطلع على هذه الدراسة طلاب علم آخرين لكي يطوروها، ويضيفوا إليها ما يمكن إضافته حتى تكون الفائدة أكبر وأعم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مقدمة:

إن دخول الإسلام إلى ملاوي أمر جدير بالدراسة والاهتمام، وذلك لما تعرض له مسلمو هذه الدولة من فتن، وما بذلوه من تضحيات للحفاظ على دينهم، فدخول الإسلام إلى ملاوي كان بصورة سلمية نتيجة التعامل والتواصل التجاري والثقافي مع السكان الذين انتشروا على طول الساحل الشرقي لإفريقيا. وقد استقر المسلمون على الساحل بعد هجرتهم من الجزيرة العربية التي استمرت عبر القرون بعد البعثة النبوية الشريفة وإشعاع نور الإسلام على العالم، وتركت هذه الهجرات آثارا شاهدة على عظمة الإسلام ودوره في التنمية ورقي الشعوب، فانتشرت المراكز التجارية والدور العلمية وبناء على ذلك تغيرت ثقافة هذه الشعوب وعاداتها تبعا للتعاليم الإسلامية.

إلا أن هذا الاستقرار لم يدم طويلا حيث دخلت المنظمات الكنسية البريطانية

وبسطت سيطرتها وأخضعت المسلمين بقوة الحديد والنار لما يريدون تحقيقه من أهداف. وبعد ذلك انكفأ المسلمون على أنفسهم، وتقطعت بهم السبل وحافظوا على بعض ما تركه لهم الأجداد من المبادئ الإسلامية، وقاطعوا المؤسسات الكنسية ومدارسها حفاظا على دينهم وعقيدة أبنائهم.

وبمرور السنين وبتواصلهم مع محيطهم الإسلامي، بدأت تدب فيهم الحياة وينفضون عن أنفسهم الغبار وتتحسن أحوالهم شيئا فشيئا، غير أن آثار تلك الفترات العصيبة ما زالت ظاهرة في حالة الفقر والجهل وسوء الأوضاع التي يعيشونها.

أساسيات الدراسة:

مشكلة الدراسة: تتمثل مشكلة البحث في الظروف الصعبة التي تعرض لها المسلمون للحفاظ على دينهم في دولة ملاوي.

أهداف الدراسة:

- إلقاء الضوء على دولة ملاوي كدولة في قارة إفريقيا.
- التعرف على الكيفية التي وصل بها الإسلام إلى ملاوي.
- بيان مجاهدات المسلمين في ملاوي للحفاظ على دينهم.

وضع الإسلام الآن في ملاوي.

أهمية الدراسة:

- أن يطلع على هذه الدراسة باحثون آخرون ويطورونها.
- إضافة هذه الدراسة للمكتبة الإسلامية.

أسئلة الدراسة: بالنظر لمشكلة الدراسة تبرز الأسئلة الآتية:

١ - المجاهدات التي بذلها مسلمو ملاوي للحفاظ على دينهم؟

٢ - كيف دخل الإسلام إلى ملاوي؟

٣ - كيف حافظ المسلمون على دينهم إبان فترة الاستعمار والتبشير المسيحي؟

٤ - ما وضع المسلمين الملاويين الآن؟

منهج الدراسة:

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي لأنه الأنسب لمثل هذه الدراسة.

أدوات الدراسة: استخدمت المقابلة كأداة للبحث.

الموقع:

تقع ملاوي جنوب وسط شرق أفريقيا، وهي دولة مغلقة تحدها من الشمال تنزانيا وزامبيا من الشمال الغربي، وموزمبيق من الشرق والجنوب الغربي(١).

المناخ والتضاريس:

مناخ ملاوي شبه استوائي، وموسم الأمطار فيها من شهر نوفمبر إلى أبريل. تعتدل الحرارة في المناطق المرتفعة و ترتفع في المناطق المنخفضة.

وتعتبر ملاوي امتدادا للوادي المتصدع الذي يشكل بحيرة ملاوي التي تبلغ مساحتها خمس مساحة البلاد و تنتهي بحيرة ملاوي بنهر شيري الذي ينحدر جنوبا ليصب في نهر زمبيزي الذي يخترق الساحل ليصب في المحيط الهندي، وهي كثيرة الجبال و الهضاب والأودية.

المساحة و السكان:

المساحة الكلية للبلاد (١١٨٤٨٠ كلم٢)، حيث يبلغ اليابس ٩٤٠٨٠ كلم٢ والمياه (٢٤٤٠٦ كلم٢) التي تمثل ٢١٪ من نسبة اليابس تقريبا (٢)

ويبلغ عدد السكان حوالي ١٥ مليون نسمة، وتعتبر كثافة السكان عالية مقارنة باليابس حيث يكون ١٥٠ نسمة للكيلومتر المربع.

ومعظم السكان من قبائل إفريقية دخلت ملاوي واستقرت فيها من موزمبيق والكنغو وجنوب إفريقيا، وأهم القبائل: الياو، الشيوا، اللوموى، التمبكا والسينا. كما سكنها بعض الآسيويين من الهند وباكستان و قليل من الأوربيين الذين دخلوا في فترة الاستعمار.

وأغلبية السكان مسيحيون حيث ينتمون للكاثوليك، الأنجليكان والبروتستانت ويمثلون ٦٥٪ و يمثل المسلمون ٣٠٪ حسب تقديرات غير رسمية، وذلك لتعتم الحكومة على الإحصائيات الرسمية، واللادينيون والمعتقدات الأخرى يمثلون ٥٪ ويعتبر الإسلام أكثر الديانات نموا في البلاد (٣).

---

(١) مجلة ماجد الإماراتية، العدد ٢٠٦٠، الأربعاء ٢٠١٨/٨/١٥م.
(٢) موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، www.ar-M-wikipedia.org.
(٣) المصدر السابق.

دخول العرب و الإسلام إلى ملاوي:

استوطن بعض المهاجرين في ملاوي في القرن العاشر الميلادي من هجرات قبائل مختلفة، بعضهم من الساحل الشرقي لإفريقيا مثل: الياو، اللومي و السينا، و بعضهم من قبائل الباتو مثل: الشيوا، التمبكا، الأنقوتي، الأنكوندي، و النيانجا، وقد دخلوا من الكنغو وجنوب إفريقيا، وأصبحوا يمثلون السكان الأصليين.

خلال القرن الخامس عشر الميلادي بدأت هجرات العرب على طول الساحل الشرقي لإفريقيا حتى موزمبيق، حيث دخلوا نهر زمبيزي في طريقهم لزمبابوي بحثا عن الذهب و العاج. و قد تأثرت بهم بعض القبائل في جنوب ملاوي، و يظهر ذلك في عادات الختان، تحريم أكل الخنزير، وعدم شرب الخمر، والتسمي بأسماء عربية؛ غير أن ذلك الأثر لم يدم طويلا لتصدي البرتغاليين لهم وإعاقة الهجرة العربية والتواصل مع الساحل.

وبنهاية القرن السابع عشر الميلادي أصبح هناك طريقان هامان ربطا إقليم بحيرة ملاوي بالساحل الشرقي و بموزمبيق. و في القرن التاسع عشر بعد ازدهار جزيرة زنجبار بالعرب العمانيين أصبحت قوافل التجارة تتوغل إلى داخل ملاوي، ونشأت عدة مراكز تجارية استقر فيها التجار العرب، ومن أهمها منطقة انكاتكوتا حيث أنشأ سليم بن عبدالله مركز جمبى على ساحل البحيرة عام ١٨٤٠م وسط ملاوي، وفي شمال البحيرة في منطقة كارونقا أنشأ ملوزي بن كازا بديما مركزاً عام ١٨٨٠م(٤).

و قد تأثرت القبائل التي تسكن على طول البحيرة بوجود هؤلاء العرب المسلمين مثل: الياو، الشيوا، والأنكوندي، وقد شجعهم هؤلاء العرب لإرسال أبنائهم إلى المناطق الساحلية للتعليم، وعند عودتهم قدموا الإسلام لأهاليهم فاعتنقوه. وبعد ذلك توالى إعلان سلاطين قبائل الياو إسلامهم وأولهم سلطان ماكنجيرا عام ١٨٧٠م وتبعه سلطان جلاسي وسلطان أمبندا، واستُخدِم هؤلاء السلاطين العرب كمستشارين و كتبه لهم، وتوثقت العلاقات مع العرب وتواصل اعتناق رؤساء القرى للإسلام.

(٤) المصدر السابق.

وبالتالي بدأ إنشاء المساجد والمدارس، واتخذ كل رئيس قرية معلما يعلمهم اللغة العربية والدين الإسلامي، وأصبح الحرف العربي هو المستعمل في كتابة معاملاتهم المختلفة(٥).

وبصورة عامة فقد انتشر الإسلام في كل أقاليم ملاوي، في الوسط والشمال والجنوب، وفرض المسلمون هيمنتهم على القبائل الأخرى، وذلك لتفوقهم الحضاري ولارتباطهم بالساحل وتأثرهم به في العمران والعادات ومقدرتهم على القراءة والكتابة، وتفوقهم اقتصاديا لعملهم في التجارة، وعسكريا لاستخدامهم السلاح الناري.

دخول الأوروبيين والمسيحية إلى ملاوي:

لقد مهد ديفيد لفنجتون لدخول المسيحية لملاوي، وذلك بعد زيارته الاستكشافية عام ١٨٥٩م لملاوي ممثلا لبريطانيا في تنافس الدول الأوروبية على إيجاد مستعمرات تابعة لها في إفريقيا. وعند زيارته لبحيرة ملاوي وجد تعامل أهل البلاد مع العرب والبرتغاليين كوسطاء في تجارة الرقيق الذي ينتهي بدوره للأوروبيين أنفسهم لتغطية الطلب المتزايد على العبيد في العالم الجديد (الأمريكتين) بعد اعتراض رجال الكنيسة على جلبهم من دول مسيحية.

وعند عودته لبريطانيا حثَّ الكنائس التنصيرية بأن تحضر إلى ملاوي وتغير هذا الواقع. ومن الشعارات التي رفعها لترغيبهم: نشر المسيحية والحضارة الغربية وإيجاد فرص تجارية واستثمارية جديدة.

وأول كنيسة تم إنشاؤها عام ١٨٦١م في موقاميرو بالقرب من بلانتاير في محافظة شيرازولو بإشراف القسيس ماكنزي ممثلا لكنيسة إنجلترا الذي تعامل بعدائية مع المواطنين و بعد ذلك لم يصبر المسيحيون على هجمات قبيلة الياو المتكررة عليهم مما اضطرهم لنقل إرساليتهم إلى زنجبار عام ١٨٦٣م، وبالتالي سقط شعارهم في تقديم المسيحية في أول محاولة لهم.

والمحاولة الثانية كانت بعد اثنتي عشر سنة في عام ١٨٧٥م وسميت إرسالية ليفنجتونيا تبعا (لديفيد لفنجتون) وهي نتاج جهد مشترك لأربع كنائس مشهورة في بريطانيا، وجاءت الإرسالية هذه المرة بخطة جديدة هي التسامح و التعامل

(٥) مقابلة مع عبد الله محمد بلة مقيم سوداني بملاوي منذ ١٩٨٨م، خريج جامعة أم درمان الإسلامية- مكتبات.

مع المواطنين بالحسنى، وعدم التدخل في شؤون المواطنين الخاصة، وتقديم بعض الخدمات و خاصة العلاجية، وكان فيهم مختصون في مجالات مختلفة وعددهم تسعة، منهم: بحار، مهندس، زراعي، طبيب و نجار إلخ....، وذلك للقيام بعملهم بنجاح. وتم إنشاء هذه الكنيسة في (كيب ماكلير Cape Maclear) على ساحل بحيرة ملاوي في منطقة السلطان المسلم (أمبندا) وذلك بعد مقايضة الأرض منه بأشياء زهيدة، واستمرت هذه الإرسالية حتى عام ١٨٨١م و بعد فشلها في تحقيق أهدافها تم نقلها إلى شمال البلاد في منطقة لفنجتونيا، ولم يتم خلال هذه الستة سنوات غير تنصير شخص واحد فقط (٦).

وقد اشتدت المنافسة للسيطرة السياسية، التجارية والدينية في المنطقة، بين الأوروبيون من جهة والعرب وسلاطين البلاد من جهة أخرى.

وقد أعلن هنري جونستون ملاوي محمية بريطانية عام ١٨٩١م واستعان بفرق عسكرية من الهند و جنوب إفريقيا، وأسلحة نارية متطورة نسبيا، و أعلن سلاطين البلاد المقاومة المسلحة التي لم يُكتب لها النجاح وانتهت عام ١٨٩٥م بالسيطرة التامة من قبل البريطانيين، وبالتالي انقطعت صلتهم بعرب الساحل.

رغم هذه الهزيمة استمر المسلمون في الالتزام بإسلامهم، وتعليم أبنائهم الإسلام، والحفاظ على التقاليد الإسلامية.

وعندما رأى المنصرون فشل كنائسهم بدأوا في فتح المدارس التي لا يسمح بالدراسة فيها إلا لمن قبل المسيحية، ولكن قاطع المسلمون هذه المدارس، وفضلوا أن يحافظوا على دينهم حتى و إن لم يجدوا تعليما، و لم يسمح رؤساء القرى للمنصرين بالبناء في قراهم.

وبمرور السنين انتقل بعض المسلمين خلسة من قراهم إلى المؤسسات التنصيرية وتعلموا وقبلوا المسيحية، و عندما عادوا إلى قراهم الاصلية رجعوا بوضع أحسن، بعضهم معلمون وبعضهم كتبة ورؤساء للعمال. و في المقابل المسلمون الذين لم يتعلموا أصبحوا يعملون أعمالا هامشية بدخل اقل مثل: الخياطة، الطبخ، والحراسة. وهكذا أصبح الذين قبلوا المسيحية مؤثرين في قراهم واستمرت موجة التنصير، وساعد في ذلك هجرة بعض النصارى لقرى

(٦) عبد الله محمد بلة، المصدر السابق.

المسلمين والزواج من بناتهم مما أدى إلى تنصير الزوجات والأبناء معاً.

دخول المسلمين الآسيويين إلى ملاوي:

نسبة لاستعمار بريطانيا للهندكان التنقل بين المستعمرات البريطانية ميسورا. فقد بدأت هجرات المسلمين في عام ١٩٢٨م من بريطانيا إلى ملاوي في رفقة المستعمرين، ومن بعد انتشروا في القرى و المدن للعمل في التجارة. وحيث ما حلوا أنشأوا مسجدا و كتابا لتعليم القرآن، مما حفز المسلمين الملاويين بالالتحاق بهذه المدارس والاستفادة منها، و لكن العلم لدى المشائخ في هذه المدارس كان محدوداً، ومع ذلك حافظت المدارس على انتمائهم للإسلام و إقامة الشعائر.

وفي بداية الستينيات جاءت مجموعة من جماعة التبليغ من الهند وباكستان في رفقة بعض الكينيين مما أدى إلى توعية مجتمع المسلمين بدينهم و دورهم في نهضة الإسلام. و بعد ذلك تم إنشاء فروع لجماعة التبليغ في مدن مختلفة لتلبية احتياجات المسلمين التعليمية و الاجتماعية المختلفة.

و قد قررت الحكومة الملاوية بتجميع الآسيويين في أربع مدن بدعوى المحافظة على أمنهم و هي: بلانتاير، لمبي، للنغوي، وزمبا عام ١٩٧٨م. وهذا أدى إلى هزة كبيرة وتوقفت كثير من المدارس القرآنية التي تم إنشاؤها. وبعض الآسيويين لم يستطيع البقاء في هذه المدن مما دفعهم للهجرة لبريطانيا.

وبعد هجرتهم ما زالت صلتهم وثيقة بملاوي و أنشأوا منظمة خيرية لدعم العمل الطوعي في مجال التعليم، الصحة، الإغاثة و حفر الآبار و سموها: صندوق ملاوي للإغاثة بالمملكة المتحدة (Malawi Relief Fund UK).

أما الذين بقوا داخل ملاوي فيقومون بجهود مقدرة في التعليم والصحة، وقاموا بإنشاء مراكز إسلامية و كليات لتنمية المجتمع ومراكز صحية، وإذاعة إسلامية. كما أنشأوا صندوقاً للزكاة (Islamic Zakaat Fund) لدفع الرسوم الدراسية للطلاب المسلمين في المدارس الثانوية و الجامعات داخل و خارج ملاوي، واستفاد منه عدد كبير من أبناء المسلمين، لكن لشدة الطلب وفقر المسلمين لا يستطيع المتبرعون تلبية طلبات أكثر المتقدمين(٧).

(٧) إسماعيل الشيخ نجات، مقيم سوداني منذ ١٩٩٢م، خريج دبلوم المركز الإسلامي بجامعة إفريقيا العالمية.

المسلمون بعد استقلال دولة ملاوي:

نالت ملاوي استقلالها في العام ١٩٦٤م، و كان الاستقلال فتحا على المسلمين، حيث سمح لهم بالالتحاق بالمدارس الحكومية والتي كانت تحت رعاية الكنائس بدون اشتراط تغيير هويتهم الإسلامية، وأثناء فترة ما بعد الاستعمار دخلت كثير من المطبوعات عن الإسلام باللغة الإنجليزية والعربية. و قدم بعض المشائخ من الدول المجاورة و دول إسلامية أخرى إلى ملاوي لتوعية المسلمين واستنهاضهم، حيث زار لأول مرة ممثل الإفتاء من السعودية ملاوي عام ١٩٦٥م، وزار ملاوي ممثل منظمة المؤتمر الإسلامي الذي مقره كراتشي/ باكستان عام ١٩٧٥م، و قبل ذلك كان هنالك اتصال له أثره الفاعل في المحافظة على الإسلام وهو ما قام به القاضي/ عبد الله الفارسي الذي كان في زنجبار وانتقل بعدها إلى ممبساكينيا بمنح فرصة لتعليم عشرين من الملاويين، وبعد عودة هؤلاء الملاويون رجعوا وهم يجيدون اللغة العربية و الكثير من العلوم الإسلامية، فقاموا بإنشاء بعض المراكز الإسلامية لتعليم اللغة العربية والمواد الإسلامية مما حافظ على شعلة الإسلام متقدة.

وفي العام ١٩٧٧م حضر خمسة من الملاويين مؤتمر حركة الشباب المسلم بجنوب إفريقيا المنعقد ببتسوانا، وهذا المؤتمر وفر للملاويين فرصة للاتصال بالوفود المختلفة و استثمار ذلك لمصلحة الإسلام.

الصحوة الإسلامية المعاصرة:

في أواخر السبعينيات انتظمت العالم الإسلامي الكثير من المؤتمرات التي اهتمت بالتعليم في الدول الإسلامية، و كيفية التعامل مع العلوم العصرية، وتأصيل المعرفة والاهتمام بالأقليات المسلمة. وهذه المؤتمرات ألقت بظلالها على دولة ملاوي.

وخلال فترة الخمسينيات عقد المستنيرون من الملاويين المسلمين والسلاطين كثيرا من الاجتماعات لحل مشكلة التعليم بالنسبة للمسلمين تحت وطأة الاستعمار وسيطرة المسيحيين، وأثمرت هذه الاجتماعات عن تكوين جمعية مسلمي ملاوي التي نشر أول دستور لها عام ١٩٥٧م وتم تعديله عام ١٩٨٩م. وأحد بنود هذا الدستور ينص على أن جمعية مسلمي ملاوي هي المنظمة التي تمثل المسلمين

داخليا وخارجيا.

وانبثقت من هذه المنظمة لجنة الشباب التي شاركت لأول مرة في مؤتمر شباب جنوب إفريقيا في بتسوانا، وهذا الاجتماع مهد لهم لخلق علاقات مع الوفود المشاركة و اتصالهم بالعالم الخارجي.

وفي عام ١٩٨٠م قرروا زيارة كل من ليبيا والكويت لحث هذه الدول المسلمة الغنية لمساعدة المسلمين في ملاوي. وأرسلت دولة الكويت وفدا لتقصي الحقائق، ولقد هزت الحالة البائسة لأوضاع المسلمين هذا الوفد، وكونوا لجنة لجمع التبرعات سموها (لجنة مسلمي ملاوي) و أمينها العام د. عبد الرحمن حمود السميط (رحمه الله)، و فيما بعد تمت تسميتها لجنة مسلمي إفريقيا، لأن نفس أوضاع المسلمين في ملاوي تنطبق على كثير من الدول الإفريقية الأخرى. وقد بدأت لجنة مسلمي ملاوي في تنفيذ برامجها تحت مظلة جمعية مسلمي ملاوي.

وقد قامت اللجنة بجهود رائدة و مقدرة و ذلك بالقيام بالأنشطة والبرامج التي تنهض بالمسلمين من أوضاعهم المتردية في كثير من المجالات التي نذكر منها ما يلي:

القيام ببناء كثير من المنشآت: مساجد، مراكز إسلامية، مدارس، حفر آبار.

بناء مركز صحي و تسييره و تقديم بعض الخدمات الصحية مثل الختان.

تسيير المراكز الإسلامية.

دفع الرسوم الدراسية للطلاب بالمدارس و الجامعات.

إيجاد منح دراسية للطلاب بالخارج.

كفالة الأيتام و فتح مراكز لإيوائهم و تعليمهم.

فتح المدارس القرآنية و تدريب المعلمين و وضع المناهج.

ترجمة القرآن الكريم للغة الشيشوا و الكثير من الكتيبات الإسلامية.

توزيع الإغاثة، الإفطارات في رمضان و الأضاحي.

التنسيق مع المنظمات المحلية في دعم بعض الأنشطة و إدارتها.

وفيما بعد نشأت بعض المنظمات المحلية و أخرى من الدول الإسلامية وجنوب إفريقيا التي تقوم بأنشطة مشابهة و لكن ما زال الطلب على هذه

الخدمات متزايدا، ومما عقد الأمر الظروف السياسية والاقتصادية العالمية الحالية.

وفي السنوات الأخيرة أصبحت كل من جمعية مسلمي ملاوي ولجنة مسلمي إفريقيا يعملان بصورة مستقلة عن بعضها البعض، وسميت لجنة مسلمي إفريقيا: العون المباشر.

الحياة الدينية والثقافية في ملاوي:

تنعكس الحياة الدينية والثقافية لمسلمي ملاوي في مذاهبهم الدينية، وممارستهم للشعائر، والاجتماعيات و اللقاءات، والوسائل الإعلامية التي تقوم بتوعيتهم وتغطية أنشطتهم.

فالسكان المحليون سنيون يتبعون المذهب الشافعي السائد في ساحل شرق إفريقيا، و قد انتقلت إليهم بعض الطرق الصوفية مثل: القادرية والشاذلية. أما المسلمون الآسيويون فيتبعون المذهب الحنفي، أما مؤخرا فقد ظهر المد الشيعي في عاصمة ملاوي، و لكن لم يجد تجاوبا يذكر وسط المسلمين.

أما ممارستهم للشعائر الدينية فهي تتفاوت بين المدن حيث الوعي الديني، والقرى، وبصورة عامة فهم أكثر حضورا في صلاة الجمعة والأعياد و صلاة التراويح أما الالتزام بالصلوات الخمس فهو أكثر في المدن و يلتزمون بصيام شهر رمضان حتى الصغار منهم و بدأوا في إنشاء صناديق الزكاة في المدن ويمكن أن تتطور هذه الجهود لعمل أكبر في المستقبل، أما الحج فيبدأ بعضهم يحج على نفقته الخاصة.

ولا توجد هيئة لتنظيم الحج لكن ينظم بواسطة بعض الوكالات.

يحرص المسلمون على عقد اجتماع سنوي للرجال و آخر للنساء لمدة يومين أو ثلاثة، لمناقشة القضايا التي تهم المسلمين، وتتخلل الاجتماع بعض المحاضرات، وفي الغالب يدعون له أحد كبار مسؤولي الدولة. وهناك اجتماعات يعقدها خريجو الجامعات لنفس الغرض، ويناقشون أيضا دورهم في دعم العمل الإسلامي، ويقدمون بعض التوصيات. وفي الغالب لا تجد كثير من هذه التوصيات طريقها للتنفيذ، و ذلك لعدم وجود آلية للمتابعة.

وتعتبر جمعية مسلمي ملاوي هي ممثل المسلمين لدى الدولة، ويشارك

أعضاء هذه الجمعية في بعض اللقاءات و الاجتماعات الدولية والإقليمية، كما يقوم هؤلاء الأعضاء أيضا بتنسيق بعض الأعمال والأنشطة التي تهم المسلمين.

أما الناحية الإعلامية فتعتبر الإذاعة الإسلامية (Radio Islam) في المقدمة ويغطي جميع ملاوي تقريبا، فهو يغطي جوانب مختلفة في النواحي الدينية والتعليم و الصحة و البيئة إلخ.... كما يغطي أنشطة المسلمين و تمنحهم الإذاعة و التلفزيون القومي و الإذاعات المجتمعية الأخرى مساحة زمنية لعكس بعض أنشطتهم، و مؤخرا تم إنشاء قناة تلفزيونية خاصة بالمسلمين (TV Islam). وهناك مراكز ثقافية في بعض المدن تقوم بتوعية المسلمين(٨).

الحياة الاجتماعية:

تعتبر الأسرة اللبنة الأولى في بناء المجتمع المسلم لما توفره من استقرار و مودة للزوجين، كما أنها تهيئ البيئة الصالحة للأطفال لنيل الرعاية الدينية، الأخلاقية، البدنية، الصحية و التعليمية. ويتم ذلك إذا قام الأب بدوره الطبيعي في القوامة والنفقة على الأسرة، و قامت الأم بدورها في تحمل المسئولية عن المنزل، ورعاية الأبناء وتلبية حاجاتهم اليومية.

غير أن نظام الأسرة للمسلمين في ملاوي قد تعرض لبعض المؤثرات التي أضعفته من: تقاليد و جهل و فقر وأمراض وغيرها.

فنظام الأسرة حسب التقاليد في القبائل المسلمة في ملاوي هو النظام الأمومي، حيث تتركز المسؤولية في الأسرة على الأم و أقاربها من والدها وإخوانها فهم المسؤولون بصورة مباشرة عن الأبناء ومستقبلهم. فإذا حصل خلاف بين الزوجين أو ضاقت ظروف الحياة بالزوج، فيترك الأبناء مع الزوجة، وهي في الغالب تعجز عن القيام بما يلزمهم من الضروريات في الغذاء والعلاج والتعليم، مما يضطر الكثير منهم إلى عدم مواصلة الدراسة، علما بأن هناك بعض القبائل وخاصة المهاجرة من جنوب إفريقيا يتبعون النظام الأبوي حيث يعتبر الأب هو المسؤول عن الأسرة وتعتبر أوضاعهم أحسن حالا.

أما تفشي الجهل كما ذكرنا لأسباب تاريخية فله أيضا انعكاسات سالبة على أوضاع الأسرة، و ذلك لجهلهم و عدم ممارستهم للكثير من أمور دينهم

(٨) حب الدين يحيى، سوداني مقيم بملاوي سنوات طويلة، خريج جامعة الخرطوم، كان مديرا لإذاعة راديو إسلام.

ومن بينها النظام الاجتماعي الإسلامي في الزواج والميراث، وضعف مستواهم العلمي الذي لا يؤهلهم للمنافسة في وظائف ذات رواتب أفضل، بالإضافة إلى ذلك ليس لديهم التدريب اللازم لاستغلال مواردهم الطبيعية بصورة أحسن.

أما الفقر فهو السمة الظاهرة في ملاوي بصورة عامة حيث تبلغ نسبة الواقعين تحت خط الفقر ٦٥٪ أي دخلهم اليومي أقل من دولار تقريبا.

وفي السنوات الأخيرة قللت الحكومة من التوظيف نسبة لمظاهر الفساد، وأحجمت بعض الدول عن تقديم المساعدات، فإذا كان هذا الوضع للدولة بصورة عامة، فالوضع بالنسبة للمسلمين يكون في أسوأ حالاته. وتنعكس آثار الفقر السالبة على الصحة، والسكن وتعليم الأبناء إلخ....

بالإضافة لما ذكرنا هنالك عوامل أخرى تؤثر في استقرار الأسرة وهي الهجرة خارج البلاد للعمل و عدم العودة أو إرسال مصاريف، والتغيرات المناخية التي تؤثر في الإنتاج الزراعي بسبب الفيضانات أو الجفاف، والأمراض المنتشرة بسبب التفكك الأسري و خاصة الإيدز، وما تخلفه من مرضى عاجزين عن الإنتاج، وأيتام يعتبرون عبئا زائدا على الأسر الفقيرة أصلا.

ولكي تتحسن هذه الأوضاع تتطلب جهودا ودعما مضاعفا من المسلمين في داخل ملاوي، وما يبذله إخوانهم المسلمون خارجها حتى يتغير هذا الواقع المأساوي للأحسن.

التعليم:

في بداية دخول المسلمين من الساحل وتواصلهم مع المواطنين في ملاوي شجعوهم على إرسال أبنائهم للتعلم في منطقة الساحل، وبعد عودتهم شرعوا في إنشاء المساجد والكتاتيب وأصبح الحرف العربي هو ما يكتبون به لغتهم ويستخدمونه في معاملاتهم اليومية.

وبعد دخول الأوروبيين إلى ملاوي فتحوا المدارس التنصيرية التي تركز في التدريس على الإنجيل مع استخدام الحروف اللاتينية، ولا يقبل فيها إلا المسيحيون مما جعل المسلمين يقومون بمقاطعة هذه المدارس والعزوف عنها حفاظا على عقيدة أبنائهم. وعندما رأى المستعمرون مقاطعة المسلمين للمدارس شرعوا بعض القوانين التي تسمح بدخول المسلمين للمدارس وتدريس مواد

أخرى مع الإنجيل.

وفي عام ١٩٣٠م أنشأوا مدرسة خاصة للمسلمين مع تدريس الإنجيل كمادة، ولكن النتيجة كانت أيضا المقاطعة من المسلمين. وفي عام ١٩٤٦م بدأ المسلمون في بناء بعض المدارس والإشراف عليها بأنفسهم، وقاموا بإرسال بعض أبنائهم إلى زنجبار ليتدربوا كمدرسين وبعد عودتهم يقوموا بالتدريس في هذه المدراس، ولكن هذه المدارس لم تجد الدعم المالي من الحكومة، وبعد نهاية فترة الاستعمار آلت بعضها للمنظمات الكنسية.

وتعتبر بداية نهضة التعليم بالنسبة للمسلمين في ملاوي في أوائل الثمانينات بعد دخول لجنة مسلمي إفريقيا وتعاونها مع لجنة مسلمي ملاوي والمنظمات الأخرى في بناء المدارس، ودفع الرسوم الدراسية وتوفير المنح الدراسية لأبناء المسلمين داخل وخارج ملاوي، وفيما بعد توالى دخول منظمات أخرى وإنشاء منظمات محلية، ويعتبر من أهم أنشطة المنظمة التعليم. و قاموا بإنشاء رياض الأطفال، المدارس القرآنية، المدارس الابتدائية، المدارس الثانوية، مراكز تحفيظ القرآن، كليات تدريب المعلمين و المعلمات. وتم إنشاء أقسام داخلية في بعض المنشآت و يتم توفير السكن والطعام، وهذه البيئة تمكن الطلاب من تعلم اللغة العربية والمواد الإسلامية بجانب المواد العصرية، ويقوم الآباء بدفع مساهمة رمزية لتغطية بعض المصروفات المتزايدة(٩).

كما أن هناك بعض المؤسسات والمنظمات التي تقوم بتقديم المنح الدراسية في داخل و خارج ملاوي في تخصصات مختلفة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: صندوق الزكاة بملاوي الذي يكفل الطلاب والطالبات في: يوغندا، السودان وزنجبار. و بنك التنمية الإسلامي الذي يكفل الطلاب في تركيا وباكستان. ومن الجامعات التي تقدم المنح الدراسية: جامعة أفريقيا العالمية - السودان، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، جامعة القصيم والأزهر الشريف.

ولكن هناك كثير من التحديات التي تواجه التعليم نذكر منها:

- قلة التمويل مقابل الطلب المتزايد.
- عدم تطوير المناهج خاصة العربية و الإسلامية لقلة الخبرة والتمويل.

(٩) الناجي أحمد محمد، مقيم سوداني بملاوي، خريج كلية التربية جامعة الخرطوم.

- قلة الفرص المتاحة للإناث في العلوم الشرعية و العربية مع أنهن أكثر تجاوبا و حراكا في الأنشطة الإسلامية.
- فقر المسلمين وعدم مقدرة الغالبية منهم على المساهمة في تعليم أبنائهم ودفع الرسوم الدراسية و المصاريف الأخرى.
- إحجام الدول الإسلامية في إنشاء مشاريع تعليمية كبرى مثل الجامعات أو كليات جامعية.
- ضعف جهود المسلمين في المطالبة بحقوقهم المشروعة من السلطات المختصة.

الناحية الاقتصادية:

تعتبر دولة ملاوي من أقل دول العالم نموا و أكثرها فقرا، وتعتمد على المساعدات الخارجية في كثير من تسيير أمورها. والناتج القومي يعتمد على الزراعة بنسبة ٣٥٪، الصناعة بنسبة ١٩٪، والخدمات بنسبة ٤٦٪. و هناك كثير من المصادر الطبيعية مستقلة مثل: اليورانيوم، البوكسايت، الحجر الجيري والفحم الحجري.

وتقابل ملاوي تحديات صعبة في المجالات التالية: التعليم، الصحة، حماية البيئة و تخفيف حدة الفقر.

وللمسلمين الآسيويين دور كبير في العمل التجاري و الصناعي في الدولة. وفي الفترة الأخيرة دخل مستثمرون عرب من لبنان واليمن. ومشاركة المسلمين في العمل التجاري دور إيجابي في دعم الأنشطة الإسلامية والتعليمية و الإغاثية والصحية، حيث تعتمد كثير من المؤسسات التعليمية، والمنح الدراسية على ما يدفعونه من زكاة، أو ما يتبرعون به لتشييد المشاريع المختلفة.

أوضاع المسلمين الآن:

وتجدر الإشارة إلى أنه في فترة الاستعمار كلها لم يسمح لأبناء المسلمين دخول المدارس الحكومية و اقتصر تعليمهم على المدارس القرآنية في المساجد و لذلك و لفترة قريبة لم يظهر أبناء المسلمين في إدارة دولاب الدولة لأن الدراسة في المدارس القرآنية لا تؤهلهم لأي وظيفة في الخدمة العامة.

ولكن بعد رحيل المستعمر واستقلال ملاوي و مجيء أول رئيس من أبناء

ملاوي لسدة الحكم، فقد اتخذ هذا الرئيس وهو (كموز باندا) عدة خطوات في الدولة كانت على قدر من الأهمية خاصة في مجال التعليم تعد عادلة للمسلمين ومن تلك الخطوات(١٠):

- نشر التعليم في مناطق المسلمين.
- إشراف الدولة على التعليم، وذلك بوضع الخطط والبرامج له.
- التعليم حق لكل الملاويين.

السماح للمنظمات الإسلامية للعمل في ملاوي، مثل لجنة مسلمي إفريقيا (جمعية العون المباشر الآن)، والتي ساهمت في بناء المدارس والمساجد، وتقديم الخدمات الاجتماعية للمسلمين.

- السماح بدراسة الديانات في المدارس (يمكن للمسلمين أن تكون لهم حصص في التربية الإسلامية، كما للنصارى حصص في ديانتهم).
- أصبحت بعض المدارس التي بناها المسيحيون قومية.

السماح للطلاب المسلمين بالدراسة في الخارج.

وقد وضعت هذه السياسة المتوازنة المسلمين في تحد كبير، فكان عليهم إبراز دورهم في الحياة الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية لبلادهم فاستطاعوا عبر كيانهم (جمعية مسلمي ملاوي) مخاطبة مسلمي العالم.

فاستجاب لهم شيوخ الكويت وأنشأوا لجنة مسلمي إفريقيا (جمعية العون المباشر فيما بعد) وتبعتها منظمات إسلامية أخرى سعودية وأخرى محلية مثل منظمة بلال وزمزم ومنظمة الدعوة الإسلامية ومنظمة البركة الخيرية، على سبيل المثال لا الحصر. وهذه المنظمات وفرت وظائف للمسلمين مما ساعد في تحسين الأوضاع المعيشية للكثيرين منهم.

بالإضافة إلى أن لجنة مسلمي ملاوي قد نسقت مع الهنود المسلمين في ملاوي الذين جاءوا في فترة الاستعمار واستقروا في ملاوي وعملوا بالتجارة في المساهمة في حركة الإسلام، فأنشأوا عددا من المدارس و المساجد، و كان تأثيرهم واضحا في مناطق انتشارهم. وكانت معظم مساهماتهم عبر كياناتهم أو عبر المنظمات العاملة للإسلام، المحلية منها والأجنبية.

(١٠) كمال محمد جاه الله الخضر - أوضاع الدين في البيئة الإفريقية، معهد مبارك قسم الله، منظمة الدعوة الإسلامية، جامعة إفريقيا العالمية، ٢٠١٧، ص٤٠.

وساهم هذا الدعم في تسيير المراكز الإسلامية التي أنشأتها لجنة مسلمي إفريقيا التي طرد ممثلها نتيجة للخلاف بينها و بين لجنة مسلمي ملاوي.

وعلى الرغم من ذلك فإن حال المسلمين في ملاوي قد تحسن بعد الاستقلال بفضل انتشار المساجد، والمدارس القرآنية، والمراكز الإسلامية. وقد ساعد على ذلك كثيرا بعد أن تبوأ رئاسة الدولة رئيس مسلم هو (ملوزي بكيلي) في انتخابات حرة لدورتين (١٠ سنوات) حيث عين بعض أبناء المسلمين وزراء وسفراء مما أعطى المسلمين دفعة قوية ساعدت في تطور الإسلام، وفي رفع مستوى تمثيل المسلمين في قيادة الدولة، و قد شجع هذا الوضع الجديد في تطلع المسلمين لتعليم أبنائهم حتى يحصلوا على شهادات جامعية، وفوق الجامعية؛ تؤهلهم للحصول على وظائف في الدولة لرفع مستوى المعيشة لأسرهم و لخدمة الإسلام والمسلمين، وقد أهلهم هذا الوضع للمساهمة في الشؤون السياسية. وقد حدث أن السكرتير العام للحزب الحاكم كان مسلما في وقت من الأوقات، وفي الوقت الحاضر هنالك عدد من المسلمين أعضاء في البرلمان، وبعضهم قادة أحزاب، وبعضهم يديرون منظمات، خاصة المنظمات الإسلامية، وكثير منهم سلاطين وعُمد وشيوخ.

وقد أتاح الوضع الجديد للمسلمين أيضا فرص إرسال أبنائهم للتعليم في الجامعات الإسلامية في بعض الدول العربية بمنح من تلك الجامعات مثل الأزهر الشريف و الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وجامعة إفريقيا العالمية والجامعة الإسلامية بليبيا.

أما بالنسبة للمطبوعات والكتب الإسلامية فيمكن القول أنه لا يوجد إلا القليل النادر من المطبوعات و الكتب الإسلامية باللغة الإنجليزية أو بلغة التشيشيوا اللغة المحلية في ملاوي، كما لا توجد دار للطباعة الإسلامية و لا توجد صحيفة إسلامية، وإنما تصلهم الصحف الإسلامية من مسلمي جنوب إفريقيا مثل صحيفة القلم و صحيفة المختار(١١).

غير أنه الآن بدأ المسلمون في جلب الكتب الإسلامية و المطبوعات الإسلامية من الدول العربية و تكوين مكتبات إسلامية في بعض المنظمات الإسلامية، كما

(١١) كمال محمد جاه الله الخضر – أوضاع الدين في البيئة الإفريقية، مرجع سابق ص٤٢.

بدأوا يستعينون بالمطابع التي ظهرت حديثا في ملاوي في طباعة و تصوير بعض المؤلفات الإسلامية و نشرها في ملاوي. و أصبح للمسلمين الآن إذاعة تسمى راديو إسلام Radio Islam.

التحديات التي تواجه المسلمين(١٢)

على الرغم مما ذكرناه من الوضع الحالي للمسلمين والذي ظهر فيه حراك ملحوظ إلا أن هنالك بعض التحديات الكبرى التي تواجه المجتمع المسلم في ملاوي أهمها:

- الفقر: وهو من المشكلات الكبرى التي تقعد بالمسلمين عن القيام بأية أدوار متوقعة، و يتفشى هذا الفقر بصورة واضحة في القرى المسلمة.

- التبشير المسيحي وتغلغله في التعليم: وذلك أن أكثر من ٧٥٪ من المدارس تنتمي إلى المبشرين والبقية مدارس حكومية (رغم ظهور بعض مدارس المنظمات الإسلامية أخيرا) وعلى الرغم من أن المدارس التبشيرية والحكومية تتبعان لوزارة التربية، ما يزال المبشرون لديهم السيطرة على تلك المدارس.

- قلة المعرفة الإسلامية الحقيقية وسط المسلمين: فقد أدت فترة الاستعمار إلى طمس الهوية الإسلامية بالتخلص من كل التراث الإسلامي المكتوب والمقروء وكذلك حرمان أبناء المسلمين من التعليم فنشأ جيل من المسلمين لا يعرف شيئا عن أصول دينه، وبذلك قلت ممارسة الشعائر الدينية مثل الحج والحجاب والأضاحي، وكثير من أنواع الإنفاق كالزكاة والصدقات وعادات الزواج الإسلامية وغيرها. واستمسك المسلمون بالصلاة رغم أنها تؤدى في مساجد بائسة، معظمها مشيد من القش والصفيح.

انقسام المسلمين إلى طوائف: وهي واحدة من التحديات (ليس في ملاوي فقط ولكن في بلاد إسلامية أخرى)، إذ يقسم كبار المسلمين أنفسهم إلى طرق صوفية كالقادرية والشاذلية وأنصار السنة والسكوتية، وهم بهذا التقسيم تقع بينهم مشادات مستحكمة في بعض المساجد، مما يظهر المسلمين وكأنهم ليسو على قلب رجل واحد.

ورغم كل ما ذُكر من تحديات فإن مظاهر الإسلام الآن بائنة للناظر فتجد تقريبا في كل قرية أو شبه مدينة من مناطق المسلمين مساجد بالمواد الثابتة

(١٢) المرجع السابق ص ٤٦-٤٧.

ومدارس يديرها مديرون مسلمون خاصة مرحلة الأساس. كما انتشر الحجاب بصورة واضحة في كل مناطق وطرقات وأسواق ملاوي، فإن منظر المسلمات المحجبات أصبح كثيراً ومألوفا. وانتشرت حفلات الزواج والختان الإسلامي وأصبح المسلمون والمسلمات بأعداد كبيرة في المساجد وفي صلوات العيدين ونشطت البرامج الدعوية في كل مكان. أما المدارس القرآنية فلا تكاد تخلو قرية بملاويمن مسجد أو مدرسة قرآنية، خاصة المناطق ذات الأغلبية المسلمة التي تتركز أغلبها في الجنوب.

ومما يبشر بمستقبل واعد للإسلام أن مسلمي ملاوي الآن مؤهلون لقيادة العمل الإسلامي بما لديهم من كفاءات من أبنائهم وكذلك المشاركة في إدارة دولاب الدولة بما ناله أبناؤهم من مؤهلات أكاديمية عليا.

والله سبحانه وتعالى أخبرنا أن هذا الدين محفوظ من عنده حيث يقول تبارك وتعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون).

أهم النتائج:

١ - ظهور عدد من المنظمات الإسلامية في ملاوي قفز بالعمل الإسلامي قفزات عالية أدت إلى تطور الإسلام فأصبح ظاهرا للعيان.

٢ - قرارات الحكومة فيما يخص حق التعليم لجميع السكان بغض النظر عن ديانته، أعطت المسلمين فرصا كبيرة في تطوير العمل الإسلامي.

٣ - فرص التعليم التي وجدها أبناء المسلمين في عدة جامعات في الدول الإسلامية رفعت من المستوى الاجتماعي في ملاوي بالإضافة إلى خريجي جامعة ملاوي.

قائمة المراجع:

١ - كمال محمد جاه الله - أوضاع الدين في البيئة الإفريقية، معهد مبارك قسم الله، منظمة الدعوة الإسلامية، جامعة إفريقيا العالمية، ٢٠١٧م.

٢ - مجلة ماجد الإماراتية، العدد (٢٠٦٠)، ٢٠١٨/٨/١٥م.

٣ - مقابلات مع نفر من الإخوة السودانيين المقيمين بملاوي لسنوات طويلة وهم:

- عبد الله محمد بلة، خريج مكتبات، جامعة أم درمان الإسلامية، مقيم منذ ١٩٨٨م.
- إسماعيل الشيخ نجات، خريج دبلوم وسيط، المركز الإسلامي الإفريقي، جامعة إفريقيا العالمية.
- الناجي أحمد محمد، سوداني مقيم لسنوات طويلة منذ ١٩٩٢م، خريج كلية التربية جامعة الخرطوم.
- معتز البلة عمر، مقيم في ملاوي، مدير تعليم سابق بحلفا الجديدة.

* المعلومات التي أخذت عنهم لموضوع البحث كلها من إصدارات ملاوية وغير ملاوية.

- حب الدين يحيى، مقيم سوداني بملاوي- كان مديرا لإذاعة راديو إسلام بملاوي، خريج جامعة الخرطوم.

٤ - موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة www.ar-M-wikipedia.org.